الفصل السابع
الرسُول يذكُر «عثمانَ» بالخيرِ

- الرسُول يذكُر عثمانَ في خطبةِ الوداعِ:

«أيُّها الناسُ : إنِّي راضٍ عن عمرَ، وعليٍّ ، وعثمانَ، وطلحةَ بن عبيدِاللَّه، والزبيرِ بن العوام، وسعدِ بنِ مالكٍ، وعبدِالرحمن بن عوف . . .» .

كانتْ هذه هي كلماتُ «الرسُول ﷺ» قبلَ وفاتِه بأيامٍ قليلةٍ وفيهَا يذكرُ عثمانَ بالخيرِ كلّ الخيرِ، معلناً في وجُود الصحابةِ جميعاً رضَاه عنه .

وقبلَ هذا كثيراً ما أثنىَ «الرسُول» على «عثمانَ» ومن الأحاديثِ الواردةِ في فضلِه:

- «اللهمَّ إنِّي رضيتُ عن عثمانَ فارضَ عنهُ» .

إنه الرسُولُ يدعو ربَّه أن يرضى عن عثمانَ لأن النبيَّ نفسه راضٍ عنه .

وكذلكَ قالَ عنه الرسُول :

- «عثمانُ وَلِيّي في الدنيَا والآخرةِ» .

والوليُّ هو الصاحبُ الحميمُ المقربُ، والرسُول ﷺ يعلنُ أنَّ «عثمانَ» وليُّهُ في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ أيضاً، ألم يقلْ فيه الرسُول :

- «عثمانُ رفيقي في الجنَّة» .

نعمْ رفيقُ النبيِّ في الجنَّة لعظِيم صفاتهِ وأفعالهِ، أليسَ هو الذي قالَ فيه الرسُول:

- «عثمانُ أحيَا أمتِي وأكرمَها».

انظر إلى هذا الوصفِ الصادرِ عن الذِي لا ينطقُ عن الهوَى، الذي لا يقولُ إلا حَقاً، إنه يقولُ عن «عثمانَ» إنه أكثرُ أمَّته خوْفاً من اللَّه، وأكرمَهُم في الإنفاقِ في سبيلهِ، ليسَ ذلكَ فقطْ؛ بل ويقولُ عنه ﷺ أيضاً:

- «عثمانُ تَستَحي منه الملائكةُ».

ونختمُ هذهِ الطائفةَ من أقوالِ الرسُول ﷺ، بقولهِ عن «عثمانَ»:

«رحمكَ اللَّه يا عثمانُ ما أصبتَ من الدنيَا ولا أصابتْ منكَ»[1].

«الرسُول ﷺ» يصفُ «عثمانَ» وصْفاً موجزاً لكنه جمعَ فأوعَى يدعُو الرسُول لعثمانَ بالخيرِ، بأنْ يرحمَه اللَّهُ، لأنهُ عاشَ في الدنيَا غير آبه بها وكانَ من أغنيائها لكنَّها لم تغيرْ فيه شيئاً، ولم تستطعْ أن تؤثر فيه.

عليٌّ بنُ أبي طالب يثنِي علَى «عثمانَ»:

هذا ما ذكَره «الرسُول ﷺ» عن «عثمانَ» فماذا عنه في القرآنِ الكريمِ، تعالُوا بنا نستمعُ إلى «عليِّ بنِ أبي طالب» وهو يقولُ:

١- عثمان ذو النورين -محمد رضا- ص٢٠.

«أنا وطلحَة وعثمانُ والزبيرُ كما قالَ اللَّه فينَا:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1].

هذا وصفُ اللَّه لعثمانَ وإخوانِه من الصحَابةِ الأطهارِ، أنهمْ يومَ القيامَة في الجنَّة عندَه، وقد خلَّص عز وجل قلوبهُم من الحقدِ فصاروا إخواناً يهنؤون بنعيمها في الجنَّة.

وها هو «علي بن أبي طالب» يصف عثمان بقوله:

«كان «عثمانُ» أوصلَنا للرحِمِ وأتقانَا للربِّ».

يقولُ عليٌّ عنه إنه كانَ أكثرَ الصحابةِ صلةً لأهله، وسُؤَالاً عن أقاربه ابتغاءَ مرضاةِ اللَّهِ، وكذلك كانَ «عثمانُ» أكثرَهم خوفاً من اللَّه واستعدَاداً لملاقاتِه بالعملِ الصالحِ.

وقد انعكستْ صفةُ خوفِ اللَّهِ هذه على حياةِ «عثمانَ» كلِّها، فهذا الرجلُ الذي رأينَا تاريخَ حياتِه في الجاهليَّة، ومقدار حبٍّ «أهل مكة» له قد زادهَ الإسلامُ رقةً ورحمةً، وحبّاً للناسِ، ولنأخذ هذا الموقفَ الجميلَ من مواقفِهِ رضيَ اللَّه عنه: ما كانَ بينَ «عثمان» وخادمِه:

١- سورة «الحجر» الآية ٤٧.

«غَضبَ عثمان ذاتَ يومٍ علَى عبدٍ لَه، فعركَ أذنَه عقَاباً لَه، ولكنْ سَريعاً ما عادتْ نفسُه الرحيمةُ تلومُه، فدعَا غلامَه إليه وقالَ له:

– إني كُنتُ قد عركتُ أذنكَ فاقتصَّ منِّي»[1].

إنهُ يطلبُ من خادِمِه أن يشدَّ أذنَه، كما شدَّ هو أذنَه، وذلك لأن «عثمانَ» شديدُ الرحمةِ بالناسِ، عظيمُ الخوفِ من اللَّهِ، يخشَى ربهُ فيأمرُ «الغلامَ» أن يردَّ هذا الفعلَ لهُ في الدنيَا، ويأمرُه بذلكَ، فينصرِف عنه «الغلامُ» خَجِلاً منه[2]، لكن «عثمانَ» يأمرُه بحزمٍ ويقول له:

– «اشددْ، يا حبذا قصاصٌ في الدنيا ولا قصاص في الآخرةِ».

فلا يجد الغلام أمامه إلا أن يطيع سيده، إنه الحرصُ منه على رضى اللَّه عز وجل في كل فعلٍ، إنه الحرصُ على لقائِه عز وجل بصفحةِ أعمالٍ ناصِعةِ البياضِ، ليسَ فيها إلا ما يسرُّ.

«عثمان» شديد الخوف من اللَّه:

لقد كان «عثمانُ» شديد الخوفِ من اللَّهِ، شديد الحرصِ على إرضائِه

١– عثمان ذو النورين – محمد رضا– ص٣٠.

٢– خلفاء الرسول –خالد محمد خالد –ص٢٦٠.

تراه يتقي الله في كل حركاته وسكناته، وكان يخشى سوء العاقبة لذا ترى «عثمانَ» يقول:

– «لو أنيٌ بين الجنَّةِ والنارِ ولا أدري إلى أيتهمَا يؤمرُ بي لاخترتُ أن أكونَ رماداً قبلَ أن أعلمَ إلى أيتهما أصيرُ».

فلو أنه في مكانٍ بين الجنَّةِ والنارِ، وهو الذي بشَّرَه «الرسُول ﷺ» بدخُول الجنةِ فإنَّه سوفَ يختارُ في هذه اللحظةِ أن يكونَ رماداً من شدةِ خوفهِ.

إنهُ الإيمانُ المرهفُ يدفعُ صاحبَهُ إلى فعْلِ الخير دائماً، ومراعاة ربِّه في كل أفعالِه، ثمَّ هوَ بعدَ ذلكَ في خوفٍ دائمٍ، يحملُ نفْساً تحدِّثُه بالخوفِ، لكنَّهُ خوفُ الذي أعدَّ العدةَ، خوفُ المؤمن الذي يمثِّلُ الدافعَ إلى المزيدِ من الخيرِ.